د. يوسف القرضاوى

كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟

دار الشروق

كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ-١٩٩٩م
الطبعة الثانية
١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
الطبعة الثالثة
١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

من الدستور الإلهي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

* * * * *

مقدمة
الطبعة الثانية

الحمد لله، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، وحجته على الناس أجمعين، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

(أما بعد):

فهذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب (كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟)، وقد عنيت بتصحيحها وتنقيحها عناية بالغة. وقد أضفت إليها في بعض الأحيان فقرات أو عبارات رأيتها لازمة لاستكمال المعنى المنشود، أو لدفع وهم غير مقصود، راجيا أن يفي هذا الكتاب بما أردته من إلقاء شيء من الضوء على كيفية التعامل مع أعظم كتب الله المنزلة وخاتمها، وهو: القرآن العظيم.

هذا، وقد صدرت طبعة محدودة من هذا الكتاب، نشرها (مركز بحوث السنة والسيرة النبوية) بجامعة قطر.

واليوم تقوم (دار الشروق) بالقاهرة بنشر هذه الطبعة، آملا أن ينفع الله بها، وأن يجعلنا ربنا من أهل القرآن الذين يهتدون بهداه، ويقتبسون من سناه، حتى يكون خلقهم القرآن، كما كان خلق محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

يوسف القرضاوي

الدوحة: المحرم ١٤١٩ هـ.
مـــــــــايو ١٩٩٨ م.

مقدمة
الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحمْدُ لله الّذي أنزل علىٰ عبْده الْكتاب ولمْ يجْعل لّهُ عوجا (١) قيما لّينذر بأْسا شديدا منْ لّدُنْهُ ويُبشّر الْمُؤْمنين الّذين يعْملُون الصّالحات أنّ لهُمْ أجْرا حسنا (٢) مّاكثين فيه أبدا ﴾ [الكهف : ١ - ٣] .

والصلاة والسلام على من كانت معجزته القرآن ، وكان إمامه القرآن ، وكان خلقه القرآن ، وكان ربيع صدره ، ونور قلبه ، وجلاء حزنه القران : محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . وعلى كل من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد)

فقد أكرمنا ربنا - نحن المسلمين - بخير كتاب أنزل ، كما أكرمنا بخير نبي أرسل ، كما قال تعالى : ﴿ لقدْ أنزلْنا إليْكُمْ كتابا فيه ذكْرُكُمْ أفلا تعْقلُون ﴾ [الأنبياء : ١٠] . فنحن المسلمين - وحدنا - الذين نملك الوثيقة السماوية الفذة ، التي تحمل كلمات الله الأخيرة لهداية البشرية ، محفوظة من كل تبديل أو تحريف لفظي أو معنوي ، وذلك أن الله تعالى تكفل بحفظ هذا الكتاب ، ولم يكله إلى أحد من خلقه : ﴿ إنّا نحنُ نزّلْنا الذّكْر وإنّا لهُ لحافظُون ﴾ [الحجر : ٩] . فهو كتاب إلهي مائة في المائة : ﴿ كتابٌ أُحْكمتْ آياتُهُ ثُمّ فُصّلتْ من لّدُنْ حكيمٍ خبيرٍ ﴾ [هود : ١] ، ﴿ وإنّهُ لكتابٌ عزيزٌ (٤١) لا يأْتيه الْباطلُ من بيْن يديْه ولا منْ خلْفه تنزيلٌ مّنْ حكيمٍ حميدٍ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] .

ولم يوجد في الدنيا كتاب ديني أو دنيوي حفظ من التحريف والتبديل، كما حفظ هذا القرآن، وإن أحدا لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا أو يخرم منه حرفا.

آياته تتلى وتسمع وتحفظ وتشرح، كما أنزلها الله على محمد - ﷺ - بواسطة الروح الأمين.

ولقد اشتمل على مائة وأربع عشرة سورة (١١٤) ابتدأت كلها بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) إلا سورة واحدة منها: سورة التوبة، فجاءت خالية منها، فلم يجترئ أحد أن يزيد هذه البسملة في مطلع السورة لا خطا ولا لفظا، لأنه لا مجال للرأي في القرآن.

لقد بلغ من اهتمام المسلمين بالقرآن أن عدوا آياته - بل كلماته، بل حروفه - فكيف يستطيع امرؤ أن يزيد أو ينقص في كتاب أحصيت كلماته وحروفه ؟!

ولم يعرف في الدنيا كتاب يحفظه الألوف وعشرات الألوف عن ظهر قلب، إلا القرآن الذي يسره الله للذكر والحفظ. فلا عجب أن نجد من الرجال والنساء من جمعه في قلبه ووعاه، كما حفظه كثير من صبيان المسلمين، لا يضيعون منه حرفا، وكذلك كثير من الأعاجم، لا يسقطون منه كلمة واحدة، وأحدهم لو سألته بالعربية عن اسمه لم يجبك ! فهو يحفظ كتاب ربه تعبدا وتقربا إليه سبحانه، وإن لم يفهم ما يقرأ ويحفظ، لأنه بغير لغته.

ولم تحفظ معاني القرآن وكلماته وألفاظه فحسب، بل طريقة أدائه ومخارج حروفه، وما ينبغي لها من مد وغن، وإظهار وإدغام، وإخفاء وإقلاب، وهو ما قام به علم خاص سمي علم (تجويد القرآن).

حتى رسم المصحف بقي يرسم ويطبع إلى اليوم، كما رسم في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، رغم تطور قواعد الرسم والإملاء. ولم تجرؤ حكومة مسلمة ولا مجمع علمي إلى اليوم، على أن يغير من طريقة رسمه، وأن يطبق عليه من القواعد ما يطبق على سائر ما يكتب ويطبع من كتب ورسائل وصحف وغيرها.

أنزل الله هذا القرآن ليهدي البشرية إلى أفضل غاية، وإلى أقوم طريق: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فالقرآن هو (نور) من الله لعباده إلى جوار نور الفطرة والعقل ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥]. وقد وصف هو نفسه بأنه (نور) في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]. ووصف الصحابة بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن خصائص النور: أنه بين في نفسه، مبين لغيره، فهو يكشف الغوامض، ويوضح الحقائق، ويدحض الأباطيل، ويدفع الشبهات، ويهدي الحائرين إذا التبس عليهم السبيل أو عدم لديهم الدليل، ويزيد الذين اهتدوا هدى.

وإذا وصف القرآن بأنه (نور) وأنه (النور)، فقد وصفت التوراة بلفظ آخر: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وكذلك وصف الإنجيل، فقد قال تعالى عن عيسى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

وهذا التمييز بين التعبيرين يدل على الفرق بين القرآن وغيره من الكتب، وهو ما عبر عنه البوصيري رحمه الله في لاميته فقال:

الله أكبر، إن دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكروا الكتبَ السوالف عنده ... طلع الصباح، فأطفئ القنديلا

وذلك أن هذا القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب، أى في أصولها العقدية والأخلاقية قبل أن تحرف، ومهيمنا عليها، أي مصححا لها فبما أدخل عليها من أوهام البشر وانحرافاتهم. وفي هذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولهذا القرآن - كما أنزله الله - خصائص تميزه عن غيره، فهو كتاب إلهي، وهو كتاب معجز، وكتاب مبين ميسر، وكتاب محفوظ، وهو كتاب الدين كله، وكتاب الزمن كله، وكتاب الإنسانية كلها.

كما أن لهذا القرآن مقاصد وأهدافا يسعى إليها، ويحرص عليها، من: تصحيح العقائد

والتصورات، عن الألوهية والنبوة والجزاء، وتصحيح التصور عن الإنسان وكرامته ورعاية حقوقه، وخصوصا الضعفاء من بني الإنسان.

كما يحرص على وصل الإنسان بربه، ليعبده وحده ويتقيه في كل أموره.

وكذلك على تزكية نفسه التي إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله.

وكذلك يعمل على تكوين الأسرة التي هي نواة المجتمع، وإنصاف المرأة التي هي عمود الأسرة.

ومثل ذلك: إنشاء الأمة الصالحة التي حملها الله أمانة الشهادة على البشرية، والتي أخرجها لنفع الناس، وهداية الناس.

وبعد ذلك: الدعوة إلى عالم إنساني يتعارف ولا يتناكر، ويتسامح ولا يتعصب، ويتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ومن حق هذا القرآن أن نحسن التعامل معه: حفظا واستظهارا، وتلاوة واستماعا، وتدبرا وتأملا.

وأن نحسن التعامل معه: فهما وتفسيرا، فليس هناك أفضل من أن نفهم عن الله مراده منا. وما أنزل كتابه إلا لنتدبره، ونفقه أسراره، ونستخرج لآلئه، كل بقدر ما يتسع واديه.

ومما يؤسف له أن هذا المجال قد وقع فيه خلل خطير، في الفهم والتفسير. ولهذا كان لا بد من وضع معالم مضيئة على الطريق، وضوابط عاصمة من كل قاصمة، ومن التحذير من المزالق التي توقع في الهاوية. وما أدراك ماهيه؟

ولا يليق بأمة القرآن أن تقع فيما وقعت فيه أمة التوراة، التي وصفها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

كما يجب أن نحسن التعامل مع القرآن اتباعا له، وعملا به، وحكما بشريعته، ودعوة إلى هدايته. فهو منهاج لحياة الفرد، ودستور لسياسة الحكم، ودستور للدعوة إلى الله تعالى.

وهذا ما يحاول هذا الكتاب أن يعالجه في أبوابه الأساسية الأربعة، معتمدا ـ بصورة أساسية ـ على القرآن ذاته، فهو الموضوع، وهو الدليل.

وقد أحسنت أمتنا في قرونها الأولى ـ وهي خير القرون ـ التعامل مع هذا القرآن، فأحسنت

فهمه، وفقهت مقاصده، وأحسنت العمل به إلى حد كبير، في مجالات الحياة المتنوعة، وأحسنت الدعوة إليه على بصيرة. وخير مثال لذلك هم الصحابة، الذين غير القرآن حياتهم تغييرا كليا، فنقلهم من انحرافات الجاهلية إلى استقامة الإسلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وتبعهم بإحسان تلاميذهم، وتلاميذ تلاميذهم من الأجيال القرآنية، التي هدى الله بها العباد، وفتح البلاد، ومكن لهم في الأرض، فأقاموا فيها دولة العدل والإحسان، وحضارة العلم والإيمان.

ثم خلف من بعدهم خَلْفٌ أو خلوف، اتخذوا القرآن مهجورا، حفظوا حروفه، وضيعوا حدوده، وأساءوا التعامل معه، فلم يحسنوا فهمه، ولم يقدموا ما قدمه، ويؤخروا ما أخره، ولم يكبروا ما كبره، ويصغروا ما صغره. ومنهم من آمن ببعضه وكفر ببعض، كماقعل بنو إسرائيل من قبلهم. وهم لم يحسنوا العمل به، كما يحب الله ويرضى، وإن تبركوا بحمله وزينوا بآياته جدرانهم، ونسوا أن البركة في اتباعه وتطبيق أحكامه، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ولا سبيل إلى إنقاذ الأمة من ضياعها وتخلفها وتمزقها إلا بالرجوع إلى هذا القرآن، تتخذ منه الدليل الذي يهدي، والإمام الذي يتبع، وكفى بالقرآن دليلا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾؟! [النساء: ١٢٢].

وقد كنت منذ سنوات أصدرت كتابي «كيف نتعامل مع السنّة النبوية؟» بطلب من الإخوة في (المعهد العالمي للفكر الإسلامي). وكان له ـ بفضل الله تعالى وتوفيقه ـ صدى طيب، وأثر حميد، فقد أزاح كثيرا من الشبهات، وصحح كثيرا من المفاهيم، ووضع من المعالم الهادية، والضوابط العاصمة، ما يعين عل صحة الفهم، واستقامة السلوك.

وكان الكثيرون يقولون لي: ما أحوجنا إلى كتاب آخر يتمم الهدف من إخراج هذا الكتاب، يكون موضوعه: «كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟».

وقلت لهؤلاء الإخوة: هذا أمر واجب، ولعله كان ينبغي أن يكون البدء به، فالقرآن هو المصدر الأول، والسنة هي المصدر الثاني، ولكن لأن الخلل والخطأ في فهم السنة والتعامل معها أكثر وأشهر، بدأنا بها، وسأشرع في ذلك متوكلا على الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وكان شيخنا محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ قد صدر عنه كتاب تحت هذا العنوان نفسه (كيف

نتعامل مع القرآن ؟) هو عبارة عن مطارحات بينه وبين الأستاذ عمر عبيد حسنة، عندما كان الشيخ في الدوحة، يطرح الأستاذ حسنة السؤال مطولا، ويجيبه الشيخ الغزالي مفصلا.

ولكن الكتاب كان يركز على قضايا معينه يسأل عنها، وكانت الإجابة على قدر السؤال، ولهذا لم يصغ بطريقة منهجية في تصنيفه، ولم يستوعب كل ما يقال في التعامل مع كتاب الله.

فكانت الحاجة إلى هذا الكتاب المنهجي متعينة. وقد قسمناه إلى أربعة أقسام أو أبواب رئيسة أو أساسية:

الباب الأول: عن خصائص القرآن العظيم ومقاصده.

الباب الثاني: عن التعامل مع القرآن: حفظا وتلاوة واستماعا.

والباب الثالث: عن التعامل مع القرآن: فهما وتفسيرا، وبيان معالم المنهج الأمثل في التفسير، والكشف عن المزالق والمحاذير، والموقف من التفسير العلمي بين المؤيدين والمعارضين. وهو أوسع أبواب الكتاب وأهمها.

والباب الرابع: عن التعامل مع القرآن: اتباعا وعملا، وحكما ودعوة.

وبهذا تم الكتاب بحمد الله تبارك وتعالى وتسديده.

وقد استفدت مما كتبته عن القرآن في كتب سابقة، مثل كتابي (ثقافة الداعية)، ومقدمة كتابي (تفسير سورة الرعد)، وكتابي (المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة)، فقد اشتملت على مباحث مهمة حول الباب الثالث - فهم القرآن وتفسيره - فلا غرو أن اقتبست منها ما رأيت أن موضعه الأساسي هنا.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارئه، وكل من أسهم في نشره وتعميم النفع به، ضارعين إليه تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وأن يرد أمتنا إلى القرآن ردا جميلا، حتى يكون منهاج حياتها، ودستور سياستها، وأن يجعلنا تبارك وتعالى من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، آمين.

الدوحة المحرم ١٤١٨ هـ

مايـو ١٩٩٧ م

يوسف القرضاوي

الباب الأول
خصائص القرآن ومقاصده

١ ـ خصائص القرآن

٢ ـ مقاصد القرآن

الفصل الأول

خصائص القرآن

١ ـ القرآن كتاب إلهي

٢ ـ كتاب محفوظ

٣ ـ كتاب معجز

٤ ـ كتاب مبين ميسر

٥ ـ كتاب الدين كله

٦ ـ كتاب الزمن كله

٧ ـ كتاب الإنسانية كلها

١ـ القـــرآن كتـــاب إلهـــي

أولى خصائص القرآن: أنه كتاب الله تعالى، الذي يتضمن كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد عليه الصلاة والسلام.

فهو إلهي المصدر: مائة في المائة (١٠٠ ٪) لفظا ومعنى، أوحاه الله إلى رسوله ونبيه محمد ﷺ عن طريق (الوحي الجلي) وهو نزول (الرسول الملكي) جبريل على (الرسول البشري) محمد، وليس عن طرق الوحي الأخرى من الإلهام أو النفث في الروع، ومن الرؤيا الصادقة، أو غيرها.

يقول الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال سبحانه يخاطب رسوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦]. ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]: إن الروح المسئول عنه في الآية هو القرآن، فإن السياق قبله وبعده يتحدث عن القرآن، وهو لا شك روح من أمر الله تبارك وتعالى.

وربما يدل لذلك قوله تعالى في أوائل سورة النحل: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

كما يؤكده قوله تعالى في أواخر سورة الشورى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا

مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن روح رباني تحيا به العقول والقلوب، كما أنه دستور إلهي ينظم حياة الأفراد والشعوب.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزله منجما وفقا للحوادث، ليكون أرسخ في القلوب، وأوقع في العقول، وهو يعالج الوقائع بآيات الله، ويرد على الأسئلة، ويثبت فؤاد الرسول في مواجهة المحن والشدائد التي تنزل به وبأصحابه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

وحكمة أخرى، وهي أن يقرأه الرسول الكريم على المؤمنين به على مهل، بحيث يستوعبونه حفظا وفهما وعملا، كما قال عز وجل: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ولكن القرآن عند الله تعالى كتاب معلوم أوله وآخره، مسجل في أم الكتاب أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون، كما صرح بذلك القرآن نفسه: ﴿ حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١ - ٤]. ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]. ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

يجب أن ينظر إلى القرآن بوصفه «كلام الله» تعالى، المعبر عما يحبه ويرضاه من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦].